(٣)

قصص عبد اللَّه بن المبارك

obeikandl.com

obeikandl.com

الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها

● صورة طريفة لسيدة مؤمنة آلت على نفسها ألاّ تتكلّم إلاّ بالقرآن الكريم، يرويها عبد الله بن المبارك حدثت له بعد انتهائه من الحجّ والزيارة، ويقول: «خرجت حاجّاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الحبيب المصطفى ﷺ، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد، فتميزت ذاك، فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف أيضاً.

عبد اللّه : السّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

العجوز : ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(١).

عبد اللّه : يرحمكِ الله... ما تصنعين في هذا المكان؟.

العجوز : ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾(٢)..

[فعلم عبد اللّه أنّها ضالّة عن الطّريق وقال لها]:

عبد اللّه : وأين تريدين؟

---

(١) سورة يس، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٦.

العجوز : ﴿سُبْحَانَ الَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾[1].

[فعلم أنّها قد قضت حجّها، وهي تريد بيت المقدس][2].

عبد اللّه : أنتِ مُذْ كَمْ في هذا الموضع؟

العجوز : ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[3].

عبد اللّه : ما أرى معك طعاماً تأكلين؟

العجوز : ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾[4].

عبد اللّه : فبأيّ شيء تتوضئين؟

العجوز : ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[5].

عبد اللّه : إن معي طعاماً، فهل لك في الأكل؟

العجوز : ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[6].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١ ﴿سُبْحَانَ الَّذِيٓ﴾: تنزيهاً لله وتعجيباً من قدرته ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾: جعل البراق يسري به ﷺ.

(٢) بيت المقدس: هي القدس عاصمة فلسطين، مدينة قديمة تعود آثارها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، فتحها الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب رضي الله عنه سلماً فسلمه بطريركها مفتاحها عام ٦٣٨م، وبعد أن احتلها الصليبيّون عام ١٠٩٩م حررها البطل صلاح الدِّين الأيوبي بعد معركة حطّين عام ١٢٤٤م، والقدس يقدّسها المسلمون والنصارى واليهود، فيها كنيسة القيامة والمسجد الأقصى وقبة الصخرة.

(٣) سورة مريم، الآية: ١٠ ﴿سَوِيًّا﴾: سليماً لا خرس بك ولا علة.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٧٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٣ .﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تراباً طاهراً.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

[فأدرك عبد اللّه أنّها صائمة، فقال لها]:

عبد اللّه : ليس هذا شهر رمضان.

العجوز : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(١).

عبد اللّه : قد أُبيح لنا الإفطار في السّفر.

العجوز : ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

[ولما وجدها لا تتكلّم إلاّ بالقرآن الكريم قال لها]:

عبد اللّه : لم لا تكلميني مثلما أُكلمك؟

العجوز : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٣).

عبد اللّه : فمن أيّ النّاس أَنْتِ؟

العجوز : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(٤).

عبد اللّه : قد أخطأت فاجعليني في حلّ.

العجوز : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ﴾(٥).

عبد اللّه : فهل لك أن أحملكِ على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٣) سورة ق، الآية: ١٨. ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: مَلَكٌ حافِظٌ لأقوالِه مُعَدٌّ حاضِرٌ.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦. ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: لاَ تتبع.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٩٢. ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾: لا تأنيب ولا لوم عليكم.

العجوز : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[1].

[فأناخ عبد اللّه لها الناقة، ولما همّت بالركوب قالت العجوز]:

العجوز : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[2].

[فغضّ[3] عبد اللّه بصره عنها، وقال لها]:

عبد اللّه : اركبي.

[فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة[4] فمزقت ثيابها، فقالت العجوز]:

العجوز : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[5].

عبد اللّه : اصبري حتى أعقلها[6].

العجوز : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[7].

[فعقل ابن المبارك الناقة وقال لها]:

عبد اللّه : اركبي.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٣) غضّ بصره: منعه مما لا يحل له رؤيته.

(٤) نفرت الناقة: فزعت وجنّحت.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٦) عقل الناقة: ضمّ رسغ يدها إلى عضدها وربطهما معاً بالعقال لتبقى باركة.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

[فلما ركبت الناقة واستوت على ظهرها قالت]:

العجوز : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(١).

[فأخذ عبد اللّه بن المبارك بزمام الناقة وجعل يسعى ويصيح، فقالت له العجوز]:

العجوز : ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾(٢).

[فجعل عبد اللّه بن المبارك يمشي رويداً رويداً ويترنّم(٣) بالشعر، فقالت له العجوز]:

العجوز : ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾(٤).

عبد اللّه : لقد أُوتيت خيراً كثيراً.

العجوز : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٥).

[فلما مشى قليلاً بها قال لها عبد اللّه]:

عبد اللّه : ألك زوج؟

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٣ و١٤. ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذلّل. ﴿مُقْرِنِينَ﴾: مطيعين وغالبين أو ضابطين.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٩. ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: توسّط فيه بين الإسراع والإبطاء. ﴿وَٱغْضُضْ﴾ اخفض وانقص.

(٣) يترنم: يتغنّى ويحسن صوته.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

العجوز : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(١).

[فسكت عبد اللّه ولم يكلمها حتى أدرك بها القافلة، فقال لها:

عبد اللّه : هذه القافلة فمن لك فيها؟

العجوز : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(٢).

[فعلم أن لها أولاداً، وقال لها]:

عبد اللّه : وما شأنهم في الحجّ؟

العجوز : ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٣).

[فعلم عبد اللّه أنهم أدلاَّءُ الركب(٤)، فقصد بها القباب والعمارات، وقال لها]:

عبد اللّه : هذه القباب فمن لك فيها؟

العجوز : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾(٥). ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٦). ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾(٧).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٦. ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: معالم للطرق تهتدون بها.

(٤) أدلاء الركب: المفرد: دليل أي: المرشد.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٧) سورة مريم، الآية: ١٢.

[فصاح عبد الله بن المبارك]:

عبد الله : يا إبراهيم... يا موسى.. يا يحيى..

[فإذا هو بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس قالت لهم أمهم]:

العجوز : ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[1].

[فمضى أحدهم واشترى طعاماً، فقدموه بين يدي عبد الله فقالت العجوز]:

العجوز : ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[2].

عبد الله : الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها.

الأولاد : هذه أمُّنا، وإن لها أربعين سنة لم تتكلّم إلاّ بالقرآن الكريم مخافة أن تزلّ[3] فيسخط عليها الرّحمٰن، فسبحان القادر على ما يشاء.

عبد الله : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٩. ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾: بدراهمكم المضروبة. ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أحلُّ، أو أجود طعاماً.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٢٤ ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: أكلاً غير مُنَغَّصٍ ولا مكدَّر.

(٣) تزل: تخطىء، أو تنحرف عن الصواب.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٤. [مرجع هذه القصة من كتاب: (المتكلمة بالقرآن وقصص أخرى) صفحة ٧ ـ ١١ وكتاب: (نساء فاضلات في ظلّ الإسلام) صفحة ٣٨ ـ ٤٢].

أنا أنفق عليه!...

● خرج عبد الله بن المبارك إلى الحجّ مع جماعة، وبعد سير مرحلة، خرج في الصباح من الخيمة فوجد صبية أتت إلى المزبلة، وأخذت منها دجاجة ميتة وهربت بها، فتبعها فوجدها دخلت خيمة مهلهلة وفيها ولد صغير فقال لها:

عبد اللّه : لم أخذت الدجاجة؟

الصبيـة : هي ميتة وأنتم رميتموها.

عبد اللّه : ألا تعلمين أنّه لا يحل أكلها.

الصبيـة : إنّها تحل لنا لشدة فقرنا.

[فذهب عبد اللّه إلى وكيله وقال له]:

عبد اللّه : ما معك؟

الوكيل : ألف دينار.

عبد اللّه : أمسك منها ما نعود به إلى بلدنا، وادفع لها الباقي، وسنحجّ في العام المقبل.

[مصدر هذه القصة من كتاب: (أطفال نجباء في ظلّ الإسلام)، القصّة رقم ٣٢ صفحة ١٠١].

إنّها تحل لنا لشدة فقرنا

● كان عبد الله بن المبارك إذا عزم على الحجّ يقول لأصحابه:

عبد الله : من عزم منكم في هذا العام على الحجّ فليأتني بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه.

[فكان يأخذ نفقاتهم ويكتب على كل صرّة[1] اسم صاحبها، ويجمعها في صندوق، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب، وحُسن الخلق، والتيسير عليهم، فإذا قضوا حجتهم فيقول لهم]:

عبد الله : هل أوصاكم أهلوكم بهدية.

[فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكية واليمنية وغيرها، فإذا جاءوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم، فأصلحت، وبيضت أبوابها ورمّم شعثها[2]، فإذا وصلوا إلى البلد، عمل وليمة بعد قدومهم

---

(١) الصُّرَّة: ما يُجمع فيه الشيء ويُشد، الجمع: صرر.

(٢) شعثها: شعث الشعر: تلبّد وتغبّر، وشعث رأسه أو بدنه، اتّسخ، فهو أشعث، =

ودعاهم فأكلوا وكساهم، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر، ثم يُقْسِمُ عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه. فيأخذونها وينصرفون إِلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناء الجميل.

= وهي شعثاء، يقال لَمَّ الله شعثهم أي: جمع متفرقهم.

[مصدر هذه القصة من كتاب: (البداية والنهاية) الجزء ١٠ صفحة ١٧٨. و(تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٨. وكتاب (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٥. وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٠ ـ ١٤١].

obeikandl.com

ردّه، وادفع إليه عشرة دراهم

● سأل ذات مرة عبد الله بن المبارك سائل فأعطاه درهماً، فقال له بعض أصحابه:

الأصحاب : إن هؤلاء يأكلون الشواء[١] والفالوذج[٢]، وقد كان يكفيه قطعة.

عبد الله : والله ما ظننت أنّه يأكل إلاّ البَقْل[٣] والخبز، فأما إذا كان يأكل الفالوذج والشواء فإنّه لا يكفيه درهم.

[ثم أمر بعض غلمانه فقال له]:

عبد الله : رُدّه، وادفع إليه عشرة دراهم.

---

(١) الشواء: ما شوي من اللحم وغيره.

(٢) الفالوذج: حلواء تعمل من الدّقيق والماء والعسل، وتصنع الآن من النشا والماء والسكر، وهي كلمة معرّبة.

(٣) البقل: العشب عامّة، والخضراوات خاصة.

[مصدر هذه القصة من كتاب: (البداية والنهاية) الجزء ١٠ صفحة ١٧٨].

هو الذي تخاطب!

● قال الحسن بن محمّد الخلال: حدَّثنا أحمد بن إبراهيم، أخبرنا الحسين بن محمّد بن عفير، حدَّثنا أحمد بن سنان[1] قال: بلغني أن ابن المبارك أتى حماد بن زيد[2] في أول الأمر، فنظر إليه فأعجبه نحوه، فقال له:

حمـاد : من أين أنت؟

عبد الله : من أهل خراسان.

حمـاد : من أي خراسان[3]؟

---

(١) أحمد بن سنان: بن أسد بن حيان القطان الواسطي، أبو جعفر، حافظ من علماء الحديث، روى عنه أصحاب الكتب الستّة إلاَّ الترمذي، له «مسند» مخرّج على الرجال، مات بواسط سنة ٢٥٩هـ الموافق ٨٧٣م. (انظر: الجمع بين رجال الصحيحين: ١/ ٧، وشذرات الذهب: ٢/ ١٣٧، والأعلام: ١/ ١٣٣).

(٢) حماد بن زيد: انظر ترجمته في القسم ٤ في القصيدة رقم: ١٢ صفحة ١٢٣.

(٣) خراسان: كلمة مركبة من «خور» أي شمس و«اسان» أي مشرق، بلاد قديمة في آسيا بين نهر أمودريا شمالاً وشرقاً وجبال هندوكوش جنوباً ومناطق فارس غرباً، تتقاسمها اليوم إيران الشرقية الشمالية (نيسابور) وأفغانستان الشمالية (هراة وبلخ) ومقاطعة تركمانيستان السوفياتية (مرو) غزاها الضحّاك سنة ٦٥٦م، وحشد فيها أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين سنة ٧٤٨م الجيوش التي قضت على الخلافة الأموية في الشرق.

عبد اللّه : من مرو[1].

حمـاد : تعرف رجلاً يقال له عبد اللّه بن المبارك؟

عبد اللّه : نعم.

حمـاد : ما فعل؟

عبد اللّه : هو الذي تُخاطب.

[فسلّم عليه ورحّب به، وحسن الذي بينهما].

---

(١) مرو: مدينة في الاتحاد السوفياتي (تركمانيستان) هي اليوم ماري، فتحها المسلمون سنة ٦٥١م، منها خرج أبو مسلم الخراساني، خرّب المغول سدّ المرغاب مصدر ثروتها الزراعية سنة ١٢٢١م. ومرو أيضاً تطلق على مرو الروذ والتي يقول فيها نهار بن توسعة:

أَلا ذَهبَ الغَزو المقَرَّب لِلغنَى ... ومات الندى والعُرْفُ بعد المهلّب

أقـام بـمـرو الـروذِ رهـن ثـوابـه ... وقد حجبا عن كل شرقٍ ومغرب

ومرو أيضاً: مرو الشاهجان، والتي يقول فيها الشاعر:

أخلاَّي إنْ أَصبحتُمُ في دياركم ... فإني بمرو الشاهجان غريبُ

[مصدر هذه القصّة من كتاب (تاريخ بغداد): الجزء ١٠ صفحة ١٥٤، وكتاب (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٢].

obeikandl.com

يرحمك الله

● حدَّثنا جعفر بن محمّد بن نصير، عن أحمد بن مسروق، عن محمّد بن حميد[1] قال: عطس رجل عند ابن المبارك، فقال له ابن المبارك:

عبد اللّه : إيش يقول الرجل إذا عطس؟

الرجل : يقول الحمد لله[2]!

عبد اللّه : يرحمك الله.

[فتعجب الحضور من حُسن أدب ابن المبارك].

---

(١) محمّد بن حميد: بن حيان التميمي الرَّازي، أبو عبد اللّه، حافظ للحديث، من أهل الرّي، زار بغداد، وأخذ عنه كثير من الأئمة كابن حنبل، وابن ماجة، والترمذي، وكذبه آخرون، توفي سنة ٢٤٨هـ الموافق ٨٦٢م. (انظر: تهذيب التهذيب: ٩/ ١٢٧، وتاريخ بغداد: ٢/ ٢٥٩، وميزان الاعتدال: ٣/ ٤٩، وشذرات الذهب: ٢/ ١١٨، وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٦٧، والأعلام: ٦/ ١١٠).

(٢) أخرج البخاري في الحديث رقم (٥٨٧٠) في كتاب الأدب، إذا عطس كيف يُشَمَّت، وأخرج أحمد في المسند (٢/ ٣٥٣) وأخرج مسلم في الحديث رقم (٢١٦٢) في كتاب السَّلام، وأخرج أبو داود في الحديث رقم (٥٠٣٠) في كتاب الأدب، وأخرج الترمذي في الحديث رقم (٢٧٣٨) والنسائي في الحديث رقم (٤/ ٥٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، ويقال له: يرحمك الله، وليقل: يغفر الله لكم».

[مصدر هذه القصة من كتاب (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٥ وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٣].

اجز له ما سبق به قلمي

● حدَّث أحمد بن علي بن رزين قال: أخبرنا علي بن خشرم، قال: حدَّثني سلمة بن سليمان قال: جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك، وقال له:

الرجل : أريد أن تقضي ديناً عليّ.

[فكتب عبد الله بن المبارك له إلى وكيله، فلما ورد الكتاب على الوكيل، سأله]:

الوكيل : كم الدَّين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك؟

الرجل : سبعمائة درهم.

[فكتب الوكيل إلى عبد الله يقول له]:

الوكيل : إن هذا الرجل سألك أن تقضي عنه سبعمائة درهم، وكتبت له سبعة آلاف درهم، وقد فنيت الغلاّت[1].

[فكتب إليه عبد الله]:

---

(١) الغلاّت: المفرد: الغلّة أي الدخل وما يُحصَّل من كراء أو ريع أو فائدة أرض أو نحو ذلك.

عبد اللّه : إن كانت الغلاّت قد فنيت فإن العمر أيضاً فني، فأجز له ما سبق به قلمي.

obeikandl.com

[مصدر هذه القصّة من كتاب (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٩ وكتاب (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٦ وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٢].

احمد الله على ما وفّق لك من قضاء دينك!

● حدَّث يعقوب بن إسحاق عن محمّد بن عيسى قال: كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس[1] وكان ينزل الرقّة[2] في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله الرقّة مرة فلم ير ذلك الشاب، وكان

---

(١) طرسوس: مدينة في جنوبي تركيا الآسيوية (قيليقيا) بينها وبين أدنة ستة فراسخ. يشقها نهر البَرَدان، فتحها المأمون سنة ٧٨٨م وفيها قبره، جاءها غازياً فأدركته منيته، فقال الشاعر:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون في عزّ ملكه المأسوسِ
غادروه بعرصتي طرسوس ... مثل ما غادروا أباه بطوسِ

(٢) الرّقّة: أو الرشيد، مدينة في سورية، شيّدها الإسكندر المقدوني، ودعاها اليونان (نيقوفوريون) والرومان (كالينيكوس)، عندها انتصر قباذ الأول الملك الفارسي على البيزنطيين، وأقام فيها كسرى الأول قبيلة مضر العربية، بنى فيها المنصور مدينة جديدة سنة ٧٧٢م ودعاها (الرفيقة) وجعلها هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة عاصمته الصيفية سنة ٨٠٣م، وبنى فيها قصر السَّلام، فعرفت بمدينة الرشيد، دمّرتها غزوات المغول في القرن الثالث عشر. قال سهيل بن عدي:

أخذنا الرقّة البيضاء لما ... رأينا الشّهر لوّحَ بالهِلالِ

وقال ربيعة الرقّي:

حبّذا الرقّة دار أو بلد ... بلد ساكنه ممن تودّ

مستعجلاً، فخرج إلى النفير[1]، فلما قفل من غزوته، ورجع الرّقة قال لجماعة الخان:

عبد اللّه : أين الشاب؟

الجماعة : إنّه محبوس لدَين ركبه.

عبد اللّه : وكم مبلغ دينه؟

الجماعة : عشرة آلاف درهم.

[فلم يزل عبد اللّه بن المبارك يستقصي حتى دُلَّ على صاحب المال، فدعا به ليلاً، ووزن له عشرة آلاف درهم، وقال له]:

عبد اللّه : أناشدك الله أن لا تخبر أحداً ما دمت حيّاً. وإذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس.

[وأدلج[2] عبد اللّه، فأخرج صاحب المال الفتى من الحبس، وقال له جماعة الخان]:

الجماعة : عبد اللّه بن المبارك كان ها هنا، وكان يذكرك، وقد خرج.

---

(١) النّفير: القوم ينفرون للقتال، والنّفير العام: قيام النّاس عامة لقتال العدو، ويقال لمن لا يصلح لمهم أو للذي لا شأن له: فلان لا في العير ولا في النفير.

(٢) أدلج: مصدر: دلج أي نهض بحمله مثقلاً، والدلج: اللّيل أو بعضه، والدلجة: السير من أول اللّيل أو سير الليل كله، وأدلج القوم: ساروا من أول الليل أو ساروا الليل كلّه.

[فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أَو ثلاث مراحل من الرّقّة، فقال له عبد اللّه]:

عبد اللّه : يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان.

الفتى : نعم يا أبا عبد الرَّحمن، كنت محبوساً بدَين.

عبد اللّه : فكيف كان سبب خلاصك؟

الفتى : جاء رجل فقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس.

عبد اللّه : يا فتى! احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.

[فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلاَّ بعد موت عبد اللّه].

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٩، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٦ و٣٨٧ وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤١ ـ ١٤٢].

obeikandl.com

ما أحسن ذا، إذا تم ذا!!

● أخبرنا القاضي أبو محمّد الحسن بن الحسين بن رامين الأستراباذي، حدَّثنا عبد الرَّحمن بن محمّد بن جعفر الجرجاني، حدَّثنا السراج وهو أبو العباس محمّد بن إسحاق النيسابوري، قال: سمعت إبراهيم بن بشار يقول: حدَّثني علي بن الفضيل قال: سمعت أبي[1] وهو يقول لابن المبارك:

الفضيل : أنت تأمرنا بالزهد، والتقلّل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان[2] إلى البلد الحرام[3]، كيف ذا.

---

(١) أبي: أي الفضيل بن عياض: بن مسعود التيمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكّي، من أكابر العباد الصلحاء، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي رضي الله عنه، وُلِد في سمرقند سنة ١٠٥هـ الموافق ٧٢٣م ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها، ثم سكن مكّة وتوفي فيها سنة ١٨٧هـ الموافق ٨٠٣م. من كلامه: من عرف الناس استراح. (انظر: كشف الظنون: ١١٨ و٥٠٣ و١٠٨٧، وهدية العارفين: ١/ ٨٢٢، وشذرات الذهب: ٨/ ٢٢٣، والأعلام: ٥/ ١٥٣).

(٢) خراسان: سبق التعريف عنها في الفصل ٣ في القصة رقم (٥).

(٣) البلد الحرام: أي مكّة المكرّمة، أو بيت الله الحرام، بلدة فيها الكعبة القبلة التي يتوجه المسلمون إليها في صلاتهم من سائر الآفاق، سمّيت مكّة لأنها تمكُّ أعناق الجبابرة، أي: تذهب نخوتهم وتذلّهم، وقيل لتمكك الناس بها، وهو ازدحامهم وتسمى أيضاً بكّة. قال الله تعالى في سورة آل عمران الآية ٩٦: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ=

عبد الله : إنما أفعل ذا لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلاَّ سارعت إليه حتى أقوم به.

الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا، إن تم ذا.

= ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٠، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٧].

obeikandl.com

أقسمت عليك لتفعلن

● قال إسماعيل الخطبي[١]: بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد[٢]، فقال أصحاب الحديث لحماد:

الأصحاب : سل أبا عبد الرَّحمن[٣] أن يحدّثنا.

حماد : يا أبا عبد الرَّحمن، تحدّثهم، فإنّهم قد سألوني؟

عبد اللَّه : سبحان الله، يا أبا إسماعيل أحدث وأنت حاضر؟!

حماد : أقسمت عليك لتفعلن.

عبد اللَّه : خذوا.. حدَّثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد.

(فما حدَّث بحرف إلاَّ عن حماد).

---

(١) إسماعيل الخطبي: هو إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطبي أبو محمّد، نسبة إلى الخطب، وإنشائها.

(٢) حماد بن زيد: انظر ترجمته في القصيدة رقم (١٢).

(٣) أبو عبد الرَّحمن: هو عبد اللَّه بن المبارك.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٥، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٢ ـ ٣٨٤].

ما اشتهيته علق بقلبي!

● حدَّثنا يحيى بن زكريا، حدَّثنا محمّد بن النضر بن مساور، قال: قال أبي: قلت لابن المبارك:

النضر : هل تتحفَّظ الحديث؟

[فتغير لون عبد اللَّه بن المبارك وقال]:

عبد اللَّه : ما تحفظتُ حديثاً قط، إنما آخذ الكتاب فأنظر فيه، فما اشتهيته، علق بقلبي.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٥، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٢].

obeikandl.com

قد حفظتها!!!

● قال الحسن بن عيسى: أخبرني صخر[١]. قال: كنا غلماناً في الكُتَّاب[٢]، فمررت أنا وابن المبارك، ورجل يخطب، فخطب خطبة طويلة، فلما فرغ قال لي عبد الله:

عبد الله : قد حفظتها.

[فسمعه رجل من القوم وقال له]:

الرجل : هاتها.

[فأعادها عبد الله وقد حفظها].

---

(١) صخر: صديق ابن المبارك.

(٢) الكُتَّاب: مدرسة صغيرة لتعليم الأولاد القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، الجمع: كَتَاتيب.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٣، وكتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٥ و١٦٦].

هذا أشربه لعطش القيامة

● قال القاسم بن محمّد بن عبّاد: سمعت سويد بن سعيد يقول: رأيت ابن المبارك بمكة[١] أتى زمزم[٢]، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة فقال:

عبد الله : اللّهمّ إن ابن أَبي الموال حدَّثنا عن محمّد بن المنكدر عن جابر، عن النبي ﷺ أنّه قال: «**ماء زمزم لما شُرب له**»[٣] وهذا أشربه لعطش القيامة.

[ثم شربه].

---

(١) مكّة: انظر ترجمتها في القصّة رقم ٩.

(٢) زمزم: بئر في مكة في الحرم الشريف قرب الكعبة، احتفرها إسماعيل وأمّه هاجر، ثم عَدَت وطُمت فاكتشف موضعها عبد المطّلب جد النبي ﷺ فأعاد حفرها، كانت مُعظَّمة في الجاهلية كما هي اليوم في الإسلام، يشرب الحجّاج ماءها وينقلونه إلى بلادهم تبركاً، يتولى السقاية منها بنو عبد المطلب إلى اليوم.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٧) وابن ماجة (٣٠٦٢)، وأخرجه الدارقطني في سننه. وأخرج الإمام مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٤٧٣) من حديث أبي ذر الطويل قوله ﷺ: «إنّها مباركة، وأنها طعام طعم» ولفظ أبي داود الطيالسي (٢/ ١٥٨): «إنها لمباركة وهي طعام طعم وشفاء سقم».

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٦، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٣ وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٢٧].

وأنت ممن يشنع علينا؟!!!

● قال أبو حاتم الرازي: حدّثنا عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفّان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز[1]، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله. ثم صرخ:

الرومي : هل من مبارز؟

[فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنَه فقتله، فازدحم إليه الناسُ، فنظرتُ فإذا هو عبد اللّه بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكُمِّه، فأخذت بطرف كمّه فمددته، فإذا هو هو. فقال]:

عبد اللّه : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا!!

---

(١) البراز: برز إليه في الحرب ونازله بالسيف ونحوه، وهو المبارزة في الحرب.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٤ ـ ٣٩٥، وكتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٧ وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٤].

أذلّ لك بدني، ولا أذلّ لك الحديث

● قال أحمد بن أبي الحواري: جاء رجل من بني هاشم إلى عبد الله بن المبارك ليسمع منه، فأبى أن يحدّثه، فقال الشريف لغلامه:

الشريف : قم، فإن أبا عبد الرَّحمن لا يرى أن يحدِّثنا.

[فلما قام ليركب، جاء ابن المبارك ليُمسك بركابه[1] فقال له الشريف]:

الشريف : يا أبا عبد الرَّحمن تفعل هذا ولا ترى أن تحدّثني!

عبد الله : أذلّ لك بدني، ولا أذلّ لك الحديث.

---

(١) الركاب: الإبل التي تركب، الواحدة: راحلة، الجمع: رُكُبٌ وركائبٌ، يقال: هو يمشي في ركابه أي: يتبعه. والركاب أيضاً: موضع الرِّجْلِ من السَّرج. وهما ركابان. وهذا الذي أمسكه ابن المبارك.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤٠٤].

موت عاجل

● قال حبيب الجلاَّب: سألت عبد الله بن المبارك:

حبيب : ما خير ما أعطي الإنسان؟

عبد الله : غريزة عقل.

حبيب : فإن لم يكن؟

عبد الله : حُسنُ أدب.

حبيب : فإن لم يكن؟

عبد الله : أخ شقيق يستشيره.

حبيب : فإن لم يكن؟

عبد الله : صمت طويل.

حبيب : فإن لم يكن؟

عبد الله : موت عاجل.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٧.

obeikandl.com

اذهب واحفر بئراً

● قال حاتم بن الجراح: سمعت علي بن الحسن بن شقيق قال: سأل رجل عبد الله بن المبارك:

الرجل : خرجت قرحة[١] في ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجتها بأنواع العلاج، وسألت الأطباء، فلم أنتفع به.

عبد الله : اذهب، فاحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم.

[ففعل الرجل، فبرأتا[٢]].

---

(١) القرحة: الجرح المتقادم الذي يفسد و اجتمع فيه القيح، الجمع: قَرْحٌ، وقروحٌ. قال الشاعر:

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ، مَنْ يبِيعُني ... بِهَا كبداً ليس بِذات قُرُوحِ

(٢) برِىء المريض: شفي وتخلّص مما به.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤٠٧].

إن قتلت.. فافعل كذا.. وكذا

● قال محمّد بن المثنى: حدَّثنا عبد الله بن سنان قال: كنت مع ابن المبارك، ومعتمر بن سليمان بطَرسُوس، فصاح الناس:

النـــاس : النفير.

[فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطفّ الجمعان، خرج رومي فطلب البِراز، فخرج إليه رجلٌ، فشدَّ العِلْجُ عليه فقتله، حتى قتل سِتة من المسلمين، وجعل يَتَبَخْتَرُ[1] بينَ الصَّفين يطلُبُ المبارزة، ولا يخرج إليه أحد، فالتفتَ إليَّ ابنُ المبارك فقال]:

ابن المبارك : يا فلان، إن قُتِلتُ فافعل كذا وكذا.

[ثم حرَّكَ دابته، وبرز للعلج[2] فعالج معه ساعة، فقتل العِلْجَ، وطلب المبارزة، فبرز له علج آخر فقتله، حتى قَتل ستة عُلوج، وطلب البراز، فكأنّهم كاعوا[3] عنه،

---

(١) يتبختر: يمشي مختالاً مُعجباً بنفسه، فهو بختريٌّ.

(٢) العلج: الشديد الجافي من الرجال، الجمع: علوج، وأعلاج.

(٣) كاعوا عنه: جبنوا، والكاعي: المنهزم.

فضرب دابته، وطرد[1] بين الصفّين، ثم غاب، فلم نشعر بشيء، وإذا أنا به في الموضع الذي كان، فقال لي:

ابن المبارك : يا عبد اللّه لئن حدَّثت بهذا أحداً، وأنا حَيٌّ فسأُخاصمك وأتبرأ منك.

(١) طرد: أرسل، وتطارد الأقران وغيرهم في الحرب ونحوها: حمل بعضهم على بعض.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) المجلد ٨ صفحة ٤٠٨ ـ ٤٠٩].

obeikandl.com

نكره أن ننتفع بشيء

● قال الحسن: رأيت في منزل ابن المبارك حماماً طيّارة، فقال ابن المبارك:

عبد اللّه : قد كنا ننتفع بِفِرَاخ هذه الحمام، فليس ننتفع بها اليوم.

الحسن : ولم ذلك؟

عبد اللّه : اختلط بها حمامٌ غيرُها فتزاوجَت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٣].

obeikandl.com

ومن أنا حتى يُكتب قولي؟!.

● قال الحسن: كنت مع عبد الله بن المبارك بالكوفة، يُقرأ عليه كتاب المناسك، انتهى إلى حديث وفيه:

. . . . . : قال عبد الله وبه نأخذ.

[فقال عبد الله]:

عبد الله : مَن كتب هذا من قولي؟

الحسن : الكاتب الذي كتبه[١].

[فلم يزل يحكّه بيده حتى دَرَس[٢]، ثم قال]:

عبد الله : ومن أنا حتى يُكتب قولي؟.

---

(١) الكاتب الذي كتبه: أي أن ناسخ الكتاب هو الذي كتب ذلك.

(٢) دَرَسَ: محا.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٣٥].

obeikandl.com

إلهي.. اقبضني الساعة.. الساعة!!

● قال عبد الله بن المبارك: كنت بمكة وقد لحق الناس قحط، واستمرّ إمساك المطر عنهم، فخرج الناس يستسقون في المسجد الحرام، ولم يبق أحد من الصغار والكبار، وكنت في الناس مما يلي باب شيبة، وإذا بعبد أسود قد أقبل، وعليه قطعتا خيش قد أتزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فانتهى إلى موضع خفيّ بجانبي، فسمعته يقول:

العبد : إلٰهي قد أخلقت[1] الوجوه كثرة الذنوب، ومساوي الأعمال، وقد منعتنا غيث السَّماء لتؤدّب الخليقة بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة[2]، يا من لا يعرف عباده منه إلاَّ الجميل، أن تسقيهم الساعة.

[فلم يزل يقول: الساعة.. الساعة.. الساعة حتى استوت السماء بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يُسبّح، وأخذت أبكي، فلما قام اتبعته حتى عرفت

---

(١) أخلقت: بلت.

(٢) الأناة: التؤدة، والحلم والوقار، والانتظار والتثبت.

موضعه، فجئت إلى الفضيل بن عياض[1] رضي الله عنه فقال لي]:

الفضيل : ما لي أراك كئيباً؟

عبد اللّه : سبقنا إليه غيرنا، فتولاه دوننا.

الفضيل : وما ذاك؟

[فقص عليه القصّة، فصاح وسكت وقال]:

الفضيل : ويحك يا ابن المبارك خذني إليه.

عبد اللّه : قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه.

[فلما كان من الغَدِ، صلّى عبد اللّه الغداة وخرج يريد الموضع، فإذا بشيخ على الباب قد بُسِط له وهو جالس، فلما رآه عرفه وقال له]:

الشيخ : مرحباً بك أبا عبد الرّحمن! ما حاجتك.

عبد اللّه : احتجت إلى غلام أسود.

الشيخ : عندي عدة، فاختر أيّهم شئت.

[وصاح]:

الشيخ : يا غلام.

[فخرج غلام جلد[2] فقال الشيخ]:

---

(١) الفضيل بن عياض: سبق التعريف عنه انظر ترجمته في القصّة رقم (٩).

(٢) الجلد: الصلب. القوي.

الشيخ : هذا محمود العاقبة أرضاه لك.

عبد الله : ليس هذا حاجتي.

[فما زال يخرج له واحداً بعد واحد حتى أخرج له الغلام المذكور، فلما أبصر به بدرت له عيناه بالنظر فقال]:

عبد الله : هو! هذا هو. نعم.. هذا هو.

الشيخ : ليس لي إلى بيعه من سبيل.

عبد الله : ولم؟

الشيخ : قد تبرّكت بموضعه في هذه الدار، وذلك أنّه لا يؤزرني[1] شيئاً؟

عبد الله : ومن أين طعامه؟

الشيخ : يكتسب من فتل الشريط نصف دانق[2] أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإن باعه في يومه، وإلاّ طوى[3] ذلك اليوم، وأخبرني الغلمان عنه أنّه لا ينام الليل الطويل، ولا يختلط بأحد منهم، وهو مهتمٌّ بنفسه وقد أحبه قلبي.

عبد الله : أنصرف إلى سفيان الثوري[4] وإلى الفضيل بن عياض بغير قضاء حاجة.

---

(١) يؤزر: يُكلف.

(٢) الدانق: سُدس الدرهم، الجمع: دوانق، ودوانيق.

(٣) طوى: تعمّد الجوع وقصده.

(٤) سفيان الثوري: بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة من =

الشيخ : إن ممشاك[1] عندي كبير، خذه بما شئت.

[فاشتراه عبد اللّه وأخذ به نحو دار الفضيل، فمشى ساعة ثم قال الغلام له]:

الغلام : يا مولاي.

عبد اللّه : لبيك.

الغلام : لا تقل لبيك، فإن العبد أولى بأن يلبي مولاه.

عبد اللّه : ما حاجتك يا حبيبي.

الغلام : أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة، وقد كان لك في غيري سعة، وقد أخرج إليك من هو أجلد مني.

عبد اللّه : لا يراني الله تعالى أستخدمك، ولكن أشتري لك منزلاً وأزوّجك وأخدمك أنا بنفسي.

[فبكى بكاء كثيراً، فقال له عبد اللّه]:

عبد اللّه : ما يبكيك؟

= مضر، أَبو عبد اللّه، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيّد أهل زمانه في علوم الدِّين والتقوى، وُلِد في الكوفة سنة ٩٧هـ الموافق ٧١٦م ونشأ فيها، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤هـ فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١هـ الموافق ٧٧٨م، له من الكتب «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» وكلاهما في الحديث. (انظر: دول الإسلام: ١/ ٨٤، والجواهر المضية: ١/ ٢٥٠، وطبقات ابن سعد: ٦/ ٣٥٦، وتهذيب التهذيب: ٤/ ١١١ ـ ١١٥، وذيل المذيل: ١٠٥، وتاريخ بغداد: ٩/ ١٥١، والأعلام ٣/ ١٥٠).

(١) ممشاك: مسيرك ومجيئك نحوي.

الغلام : أنت لم تفعل بي هذا إلاَّ وقد رأيت بعض متصلاتي بالله تبارك وتعالى، وإلاَّ فلم اخترتني من بين أولئك الغلمان؟

عبد اللَّه : ليس بي حاجة إلى هذا.

الغلام : سألتك بالله إلاَّ أخبرتني؟

عبد اللَّه : بإجابة دعوتك.

الغلام : أحسبك إن شاء الله رجلاً صالحاً، إن لله عزّ وجلّ خِيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلاَّ لمن أحب من عباده، ولا يظهر عليهم إلاَّ لمن ارتضى من خلقه.

[ثم صمت برهة وقال]:

الغلام : ترى أن تقف عليَّ قليلاً، فإنّه قد بقيت عليّ ركعات من البارحة.

عبد اللَّه : هذا منزل فضيل قريب.

الغلام : لا، ههنا أحب إليّ. أمر الله عزّ وجلّ لا يؤخر.

[فدخل المسجد فما زال يصلي حتى أتى على ما أراد، ثم التفت إليّ وقال]:

الغلام : يا أبا عبد الرَّحمن هل من حاجة؟

عبد اللَّه : لم؟

الغلام : إني أريد الانصراف.

عبد اللَّه : إلى أين؟

الغلام : إلى الآخرة.

عبد اللّه : لا تفعل، دعني أُسرّ بك.

الغلام : إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني وبينه، فأما إذا اطّلعت عليها فسيطّلع عليها غيرك، ولا حاجة لي في ذلك.

[ثم خرّ لوجهه فجعل يقول]:

الغلام : إلهي اقبضني السَّاعة.. السّاعة.

[فدنا منه عبد اللّه فإذا هو قد مات، فوالله ما تذكّره قط إلاّ طال حزنه، وصغرت الدنيا في عينه. وفي أمثاله يقول عبد اللّه بن المبارك]:

عبد اللّه : عبيد لمولاهم تعالى وغيرهم
عبيد الهوى بين الفريقين كالثرى
وعلو الثريا في ارتفاع مقامهم
بهم يدفع الله البلايا عن الورى

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (روض الرياحين في حكايات الصالحين) صفحة ١٥١ ـ ١٥٢].

أبشر فإن الله حقّق لك ذلك

● حكى عبد الله بن المبارك قال: حججت إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا في الطواف إذ عييت[١]، فجلست أستريح، ووضعت رأسي على ركبتي فغلبني النوم، فرأيت النبي ﷺ وهو يقول:

قال رسول الله ﷺ: «يا ابن المبارك، إذا أنت قضيت حجّك، وحللت عقدك[٢]، ورجعت إلى أرض العراق، ودخلت دار السَّلام[٣]، فاقصد الحلّة[٤] التي بها بهرام المجوسي[٥]، فإذا لقيته فأخبره أن النبي العربي محمّداً ﷺ، يُسلِّم عليه، وهو يقول لك أبشر فإن قصرك في الجنّة غداً في أقرب

---

(١) عييت: مصدر عيي: عجز وتعب تعباً شديداً.

(٢) حللت عقدك: فككتها ونقضتها.

(٣) دار السَّلام: هي مدينة بغداد. شيّدها المنصور الخليفة العباسي سنة ٧٦٢، على شكل مستدير، وجعلها عاصمته، وازدهرت ازدهاراً منقطع النظير بين ٧٥٤ ـ ٨٣٣ مع المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون، أخذت بالانحطاط بعد أن نقل المعتصم العاصمة إلى سامراء. دمّرها هولاكو سنة ١٢٥٨م، وتيمورلنك سنة ١٤٠٠م ثم الأتراك سنة ١٦٣٨م، فيها المتحف الإسلامي، والمدرسة المستنصرية، والقصر العباسي، وقبر السيدة زبيدة امرأة هارون الرشيد.

(٤) الحلة: القوم النازلون والبيوت مجتمعة، الجمع: حلال، وحلل.

(٥) المجوسي: منسوب إلى المجوسية، قوم يعبدون النار والشمس والقمر.

القصور إلى قصري. [فانتبه عبد اللّه لذلك فزعاً مرعوباً، وتفكّر ساعة، وغلبه النوم ثانية، فرأى النبي ﷺ أيضاً يقول له]:

قال ﷺ : «يا ابن المبارك لا تشكّ في منامك، فهو حقّ والشيطان لا يتمثّل بصورتي قط[1]، فإذا قضيت حجّك، وحللت عقدك، وانصرفت إلى العراق، فاطلب هذا المجوسي بهرام، وبشّره بما قلت لك».

[فانتبه عبد اللّه أيضاً مرعوباً، واستعاذ بالله واستغفره وتفكّر ساعة فغلبه النوم، فنام، فرأى النبي ﷺ ثالث مرّة وهو يقول له]:

قال ﷺ : يا ابن المبارك أنا محمّد رسول الله، فلا ترتبك في ذلك وامتثل لأمري، فهو حقٌّ.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه في الحديث رقم (٦٥٩٢) في كتاب التعبير، باب: من رأى النبي ﷺ في المنام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«مَنْ رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان بي»** وأخرجه مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٢٦٦) في كتاب الرؤيا، باب: من رآني في المنام. وفي الحديث (٦٥٩٣) في صحيح البخاري قال أنس رضي الله عنه: **«من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربين جزءاً من النبوة»** وأخرجه مسلم في أوائل الرؤيا في الحديث رقم (٢٢٦٤). وانظر أبو داود في كتاب رقم ٤٠ باب: ٨٨، والترمذي في كتاب ٣٢ باب ٧٠٤، وابن ماجه في كتاب ٣٥ باب: ٢ والدارمي في كتاب ١٠ باب ٤ وطبقات ابن سعد ج١ ق٢ ص١٢٥. وأحمد ١/ ٢٧٩ و٣٦١ و٤٠٠ و٤٤٠ و٤٥٠ و٢/ ٢٣٢ و٣٤٢ و٤١٠ و٤١١ و٤٦٣.

[فقال عبد اللّه بن المبارك]:

عبد اللّه : أريد بذلك علامة ألقاه بها..

[فأخذ رسول الله ﷺ كفّ عبد اللّه بيمينه ثم قال له]:

قال ﷺ : يا ابن المبارك هذا المجوسي شيخ زمنٌ قد أتى عليه مائة وأربعون سنة، وقد ضعف بصره، وثقل سمعه، وابيضّ شعره، ودقّ عظمه[1]، ويبس عصبه، وجلده، فإذا أتيته وسلّمت عليه وبشّرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التي أخذتها بيميني على رأسه، ومُرّ بها على وجهه وسائر جسده وبدنه، فإنّه يعود شاباً ويرجع إليه بصره وسمعه، ويسودُّ شعره، ويطرى جسده، ويقوى عصبه، وتعود إليه قوّته.

[فانتبه عبد اللّه وهو كالولهان، فلما أن قضى حجّه وحلّ عقده وانصرف إلى العراق، ودخل بغداد، سأل عن دار المجوسي، فشاهد غلاماً يقف على الباب فقال له]:

عبد اللّه : يا غلام استأذن لي على مولاك.

الغلام : أغريب أنت؟

عبد اللّه : نعم.

الغلام : ادخل، ليس هنا من يحجبك.

---

(١) الدست: صدر المجلس.

[فدخل عبد اللّه إلى دار لم يرَ مثلها، وشاهد كتبة ومجوساً وصيارف قعوداً، وهم يقبضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم، فقال لهم]:

عبد اللّه : يا قوم! أفيكم بهرام.

الحضور : أدخل الدار الثانية.

[فدخل عبد اللّه الدار الثانية، فإذا ليس بينها وبين الدار الأولى نسبة، بل تفاوت، وإذا بشيخ قاعد على دست[1] ومرتبة على الصّفة التي وصفها رسول الله ﷺ، وحوله جماعة من الكتّاب والحسّاب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار، وهم في الحساب. فسلّم كما أمره النبي ﷺ وقال له]:

عبد اللّه : السّلام عليك يا بهرام.

بهرام : وعليك السّلام.

[وكان قد شدّ حاجبيه بعصابة فرفعها عن عينيه وأردف يقول]:

بهرام : مَن الرجل؟

عبد اللّه : عبد اللّه بن المبارك.

بهرام : مرحباً بك، لقد شممت بك رائحة زال بها الهمُّ عن

---

(١) دق عظمه: صَغُر وصار دقيقاً.

قلبي . . ادنُ مني .

[فجلس عبد اللّه إلى جانبه، فقال له بهرام]:

بهرام : هل لك من حاجة؟

عبد اللّه : نعم .

بهرام : وما هي؟

عبد اللّه : أرى أن أخلو بك ساعة .

بهرام : نعم .

[وأمر بهرام من هناك بالخروج، فتهيأوا ثم خرجوا، فبقي عبد اللّه وثلاثة شبان، فقال لبهرام]:

عبد اللّه : هؤلاء اصرفهم يا بهرام .

[فصرفهم . . . عندها قال له]:

عبد اللّه : يا بهرام . . . كم تعد من السنين؟

بهرام : أعدّ مائة وأربعين سنة .

عبد اللّه : فهل تعرف أنّك عملت شيئاً استوجبت به من الله الجنّة؟

بهرام : لا أدري . . . إلاّ أنني رزقت ثلاثة بنين، وثلاث بنات فزوجتُ بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندي وأفردت لكل واحد منهم مالاً وداراً وعقارات .

عبد اللّه : لا تستوجب الجنّة، بل تستوجب النار . فهل عملت شيئاً صالحاً لآخرتك .

بهرام : قسمت ليلي ثلاثة أجزاء: أما الجزء الأول فإني أقعد للمسامرة، وتُقرأ عليّ سير الأُول، فأنفرج بذلك، والجزء الثاني أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهّار. والجزء الثالث أفكّر فيه في أمر معاشي ومعادي وأمنع نفسي عن النوم في ذلك الجزء، فإن النوم فيه جهل وخمول ودماء إلاّ لضرورة.

عبد اللّه : هل لك فعل غير هذا؟

بهرام : لا.

عبد اللّه : يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فيم استحقيت يا بهرام الجنّة؟

بهرام : ويحك يا بن المبارك، أتقطع لي بالجنّة وأنت عالِم المسلمين.

من أخبرك بذلك.

عبد اللّه : أخبرني الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

بهرام : فما القصّة؟

[فحدَّثه عبد اللّه بالمنام الذي رآه، وبما قال النبي ﷺ مراراً فقال له]:

بهرام : يا بن المبارك! وهل لذلك علامة ظاهرة؟

عبد اللّه : نعم أدنُ مني.

[فدنا بهرام من عبد اللّه، فمسح بيده رأسه ووجهه

وصدره وبدنه وأولاده ينظرون، فصار شاباً حسناً طرياً سميعاً بصيراً، واسودّ شعره، وابيضّت بشرته، فلما عاين ذلك قال بهرام]:

بهرام : امدد يدك يا شيخ.. أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله.

[ثم قال]:

بهرام : يا شيخ.. أأخبرك السبب الذي أوجب الله لي به هذه المنزلة؟

عبد اللّه : نعم.

بهرام : كنت من مدة قد أولمت وليمة عامّة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصّة، فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة، فلما كان في بعض الليل طرق طارق الباب، وقد هدأ الناس، ونام الخدم لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة، وأنا جالس منتبه، فقلت: من بالباب، فخرجت امرأة عجوز وقالت:

المرأة : يا بهرام أنا امرأة من جيرانك، فأوقد لي هذا السراج.

بهرام : نحن المجوس لا نرى إخراج النار من بيوتنا ليلاً.

[فتحيّر بهرام في أمره، وقام ولم ينبه أحداً، فأسرج لها السراج، فانصرفت، وأطفأت السراج، وعادت وقالت]:

المرأة : يا بهرام قد انطفأ. فأسرجه لي.

[فلما أسرجه قالت المرأة]:

المرأة : يا بهرام والله ما جئتك لأجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاوون[1] كالمرأة الثكلى[2] أو كالحبّة في المقلى، فإن كان قد بقي في دارك فضل طعام فأعطني فإنّك إن شاء الله تملك بذلك الجنّة.

بهرام : حباً وكرامة.

[فأخذ بهرام منديلاً كبيراً، فجعل فيه من كل شيء كان في البيت من الحلو والحامض، وأخرج كيساً فيه ألف دينار، وكيساً فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية[3]، وشد الجميع وقال لها]:

بهرام : احملي هذا إلى عيالك واقسمي عليهم.

[فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها، فقالت]:

المرأة : يا بهرام أعنّي أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفّف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد.

بهرام : يا هذه.. كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى عليّ مائة ونيّف وثلاثون سنة.

---

(١) يتضاوون: مصدر ضوي: نحلوا.

(٢) الثكلى: ثكلت الأم ولدها: فقدته. والثكل: فقدان الحبيب أو الحميم.

(٣) مروزية: نسبة إلى مرو.

[ثم تفكّر لحظة وطاب لذلك قلب بهرام فقال لها]:

بهرام : شيلي على رأسي.

[فشالته واستقل على رأسه فسال لذلك عرقه حتى صار في منزلها، فحط الطعام، ووضع الرزمة، وجعل بهرام يلقم البنات إلى أن شبعن ونشطن ثم قسم عليهن الثياب والدراهم والدنانير، ففرحن وتبسمن، فلما أراد بهرام القيام قلن بأجمعهن]:

البنات : يا بهرام... أصلح الله لك أمورك، وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا، وأدمت سرورنا، وفرّحك يوم القيامة كما فرّحتنا، وختم لك بخير، وأنزلك أقرب قصر من قصر نبيّنا محمّد ﷺ في دار الجنان.

بهرام : آمين.

[وما زلت أرجو استجابة دعائهن]:

عبد اللّه : يا بهرام... أبشر، فإن الله حقّق لك ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: لا تحقر من المعروف شيئاً ولو أنّك تفرغ من دلوك في إناء أخيك ماء.

[فتصدّق بهرام في ذلك اليوم بمائة ألف درهم، وبمائة ألف دينار، وبمائة ألف ثوب مروزيات، وبألفي ثوب ديباج[1]، وفرّق سائر أمواله على أولاده وبناته

(١) الديباج: نسيج من الحرير ملون ألواناً. قال أبو منصور الأزهري: دينار وقيراط =

والمسلمين، وأسلم في ذلك اليوم خلق كثير من المجوس، ثم انفرد بهرام عن أهله، ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث قليلاً حتى توفي رحمة الله عليه.

obeikandl.com

= وديباج أصولها أعجمية، غير أن العرب تكلمت بها قديماً فصارت عربية (اللسان).
[مصدر هذه القصّة من كتاب: (ثمرات الأوراق في المحاضرات) صفحة ٢٩٢ ـ ٢٩٥، وكتاب (قصص وأخبار من رأى سيد الأبرار في المنام) صفحة ٤٧].

قل لا إله إلاّ الله

● روى الحسن بن الرَّبيع قال: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة، وأقبل نُصَير يقول له:

نُصَير : يا أبا عبد الرَّحمن؛ قل لا إله إلاَّ الله.

عبد اللّه : يا نُصير قد تَرى شدّة الكلام عليّ فإذا سمعتني قُلتُها فلا تردّها عليّ حتى تَسْمَعني قد أحدثتُ بعْدها كلاماً، فإنّما كانُوا يستحبّون أن يكُون آخر كلام العبد ذلك.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٦].

غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة

● روى محمّد بن فضيل بن عياض قال: رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت له:

محمّد : أي الأعمال وجدتَ أفضل؟

عبد الله : الأمر الذي كنتُ فيه.

محمّد : الرّباط[1] والجهاد؟

عبد الله : نعم.

محمّد : فأيّ شيء صنع بك ربّك؟

عبد الله : غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وزوّجني امرأة من أهل الجنّة من الحور العين.

---

(١) الرباط: ملازمة ثغر العدو.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٧].

obeikandl.com

مسك الختام

● قال الإمام أبو حامد محمّد الغزالي رحمه الله تعالى:

كان بمدينة مرو رجل اسمه «نوح بن مريم» وكان رئيس مرو وقاضيها، وكان له نعمة كبيرة، وحال موفورة، وكانت له ابنة ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، قد خطبها جماعة من الأكابر والرؤساء، وذوي النعمة والثروة، فلم يُنعم بها لأحد منهم، وتحيّر في أمرها، ولم يدر لأيّهم يزوجها، وقال(*):

(*) أبو حامد: محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي، حجّة الإسلام، فيلسوف متصوّف، له نحو مئتي مصنّف، ولد في الطابران سنة ٤٥٠هـ الموافق ١٠٥٨م، ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل، أو إلى غزالة من قرى طوس. من كتبه: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، ومحك النظر، ومعارج القدس في أحوال النفس، ومقاصد الفلاسفة، والمضنون به على غير أهله، والمنقذ من الضلال، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك، وأيها الولد، وإلجام العوام عن علم الكلام، والطير، والدرة الفاخرة في علوم الآخرة، والمستصفى من علوم الأصول وأسرار الحج، وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، وميزان العمل، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وغيرها لا يحصى. توفي سنة ٥٠٥هـ الموافق ١١١١م. (انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٣٦٣. وطبقات الشافعية: ٤/ ١٠١، وشذرات الذهب: ٤/ ١٠، والوافي بالوفيات: ١/ ٢٧٧، ومفتاح السعادة: ٢/ ١٩١ ـ ٢١٠، والأعلام: ٧/ ٢٢، وديوان الإمام الغزالي).

نوح : إن زوجتها لفلان أسخطتُ فلاناً.

[وكان لنوح بن مريم غلام هندي تقي اسمه «مبارك» وكان له كرمٌ عامر الأشجار والفاكهة والثّمار فقال للغلام]:

نوح : أريد أن تمضي وتحفظ لي الكرم.

[فمضى الغلام وأقام في الكرم شهراً، فجاء سيده في بعض الأيام إلى الكرم لينظره، فقال نوح]:

نوح : يا مبارك! ناولني عنقود عنب.

[فناوله عنقوداً آخر فوجده حامضاً فقال له]:

نوح : أعطني غير هذا!

[فناوله عنقوداً آخر فوجده حامضاً فقال له]:

نوح : ما السبب في أنّك لا تناولني من هذا الكثير غير الحامض.

مبارك : لأني لا أعلم أحامض هو أم حلو.

نوح : سبحان الله! لك في هذا الكرم شهر كامل، ما تعرف الحامض من الحلو؟

مبارك : وحقّك أيّها السيّد! إنني ما ذقته، ولم أعلم أحامض أم حلو!

نوح : لِمَ لا أكلت منه؟

مبارك : لأنّك أمرتني بحفظه، ولم تأمرني بأكله!! فما كنتُ لأخونك.

[فعجب القاضي نوح منه وقال له]:

نوح : حفظ الله عليك أمانتك.

[وعلم القاضي أن الغلام غزير العقل، فقال له]:

نوح : أيها الغلام! قد وقع لي رغبة فيك، وينبغي أن تفعل ما آمرك به.

مبارك : أنا مطيع لله ثم لك.

نوح : اعلم أن لي بنتاً جميلة، وقد خطبها كثير من الرؤساء والمتقدّمين، ولا أعلم لمن أزوّجها! فأشر عليَّ بما ترى؟!

مبارك : إن الكفّار في زمن الجاهلية كانوا يريدون: الأصل والنّسب، والبيت والحسب. واليهود والنصارى يطلبون الحُسْنَ والجمال، وفي عهد رسول الله ﷺ، كان الناس يطلبون: الدِّين والتقى، أما في زماننا هذا، فالناس يطلبون المال! فاختر من هذه الأربعة ما تريد.

نوح : قد اخترتُ الدِّين والتُّقى والأمانة، أُريد أن أُزوِّجك ابنتي! لأنّي قد وجدت فيك: الصلاح، والديانة، والأمانة، وجرّبت منك العفّة والصيانة.

مبارك : أيها السيد! أنا عبد رقيق، هندي أسود، ابتعتني[1] بمالِكَ، كيف تزوّجني بابنتك؟ وكيف تختارني ابنتك وترضاني؟!

نوح : قم بنا إلى البيت، لندبّر هذا الأمر.

---

(١) ابتعتني: اشتريتني.

[فلما صار إلى المنزل، قال القاضي نوح لزوجته]:

نوح : اعلمي أن هذا الغلام الهندي ديِّنٌ تقيٌّ، وقد رغبت في صلاحه، وأريد أن أزوِّجه ابنتي، فما تقولين؟!

الزوجة : الأمر إليك، ولكن أمضي إلى الصبيّة وأخبرها، وأُعيد عليك جوابها.

[فجاءت الزوجة إلى ابنتها، وأدّت إليها رسالة أبيها، فقالت البنت]:

البنت : مهما أمرتماني به فعلتُه، ولا أخرج من تحت حكمكما، ولا أعاندكما بالمخالفة، بل أبرّكما.

[فزوّج القاضي ابنته بالمبارك، وأعطاهما مالاً عظيماً، فأولدها المبارك ولداً سمّاه «عبد اللّه» صاحب العلم والزهد ورواية الحديث رحمهم الله تعالى.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) صفحة ٨٥، وكتاب: (حدائق المتقين) صفحة ٢٣٥ ـ ٢٣٨].